علاقة البحر بالشخصية والحدث في الرواية الخليجية "دراسة في نماذج مختارة"

إعداد الباحثة

نوف بنت عائض بن شالي المطيري

قسم اللغة العربية ـ ماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الثالث (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

علاقة البحر بالشخصية والحدث في الرواية الخليجية "دراسة في نماذج مختارة"

نوف بنت عائض بن شالي المطيري

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : nouf.ayid@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث توظيف البحر في المنجز الروائي الخليجي؛ من خلال رصد تجليات الحضور الفعلي للمكان/البحر، وذلك بالكشف عن تمثلاته الواقعية والرمزية، متمثلًا في جدلية المكان/البحر وارتباطه وعلاقته بعناصر الرواية: الشخصيات، الحدث. ولخصت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

حيث استفاد البحث من المنهج الوصفي التحليلي، ومفيدة من معطيات المناهج الأخرى: النفسي، الاجتماعي، والتأويلي.

وخلص البحث إلى أن البحر تجلى بحضوره الفعلي في الروايات الخليجية، حيث اتخذ الحضور الواقعي في رسم أبعاده الدلالية الواقعية، وأثر هذا الحضور على مصائر الشخصيات، ثم اتخاذ حضوره المجازي بأبعاده الدلالية المجازية؛ حين انزاح من الحيز الجغرافي إلى صور أخرى، وتأثيره على مكونات النص الروائي.

الكلمات المفتاحية : البحر، الإنسان الخليجي، مستلزمات البحر، تمثلات المكان/البحر، جدلية المكان/البحر .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The relationship of the sea with the personality and the event in the Gulf novel 'A Study of Selected Models'

Nouf bint Ayedh bin Shali Al-Mutairi
Department of Arabic Language, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.
Email: nouf.ayid@gmail.com

Abstract

This research deals with the employment of the sea in the Gulf novelistic achievement; By monitoring the manifestations of the actual presence of the place / sea, by revealing its realistic and symbolic representations, represented in the dialectic of the place / sea and its connection and relationship with the elements of the novel: the characters, the event. The conclusion summarized the most important findings of the research.

Where the research benefited from the descriptive analytical method, and useful from the data of other methods: psychological, social, and interpretive.

The research concluded that the sea manifested its actual presence in the Gulf novels, where it took the realistic presence in drawing its realistic semantic dimensions, and the impact of this presence on the destinies of the characters, then taking its metaphorical presence with its semantic metaphorical dimensions; When he shifted from the geographical space to other images, and his effect on the components of the narrative text.

Keywords: the sea, the Gulf man, the requirements of the sea, representations of the place/sea, the dialectic of the place/sea.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن للمكان حضوراً مميزاً في الرواية ليس على جمالياتها فحسب، بل يكمن أثره على سلوكيات شخصوهم وعواطفهم وأفكارهم وآمالهم. والفضاء البحري من الفضاءات الخصبة التي استثمرت في النصوص الروائية الحديثة؛ حيث استهوى البحر الكثير منهم لكتابة تجاربهم من بينهم كتاب الرواية الخليجية، والخليجي منذ أن فتح عينيه على الحياة وجد البحر صديقاً ورفيقاً فشق غماره وغزاه صياداً وربانّاً وفاتحاً ومغامراً إلى آفاق الدنيا. من هنا بدأت الروايات الخليجية تتجه إلى البحر وتتخذه موضوعاً لها، وبخاصة أن البحر مرتبط نفسي بالإنسان الخليجي، وبالاقتصاد الخليجي، وبالتركيبة السكانية في الخليج.(١)

تشكل دراسة حضور البحر في الرواية الخليجية أهمية كبيرة، حين تكمن في الكشف عن تمثلاته الواقعية والرمزية، وعلاقة ذلك كله بالتقنيات السردية الأخرى المتمثلة في الأحداث والشخوص، عن طريق: رصد تجليات الحضور الواقعي للبحر في الرواية الخليجية، والكشف عن الغاية الفنية من توظيف البحر وفقاً لتشكل مدلولاته، ثم رصد تجليات ذلك الحضور المتخيل في الرواية الخليجية، وبيان أوجه العلاقة الممكنة بين المكان/البحر بوصفه عنصراً سردياً وعنصري الشخصيات والأحداث.

---

(١) انظر: المحادين، عبد الحميد: جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، (عمّان/الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١ص٧٣).

وقد وقع اختيار الباحثة على موضوع "علاقة البحر بالشخصية والحدث في الرواية الخليجية"؛ إذ يعد البحر من اهتمامات الإنسان الخليجي بحكم الموقع الجغرافي المطل على الخليج العربي والبحر الأحمر، حيث تسعى هذه الدراسة إلى تتبع تمثلات البحر في الرواية الخليجية، ورصد صوره من منطلق أن البحر مكانٌ واسعٌ بأدواته وجمالياته، إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت موضوع البحر في الرواية الخليجية بصفة خاصة على الرغم من توفر المتن الروائي، و ما يميز الرواية الخليجية من حيث اهتمامها بمكانين مهمين هما الصحراء والبحر ومالهما من حضورهما الاجتماعي في معظم تلك الروايات.

وكما هو الشأن مع كل بحثٍ، فقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع مما رأينا أنّها ذات أهمية، بحيث تمده بالمعلومات التي يتطلّبها ويكون لها فيه الأثر البارز، منها:

١. بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية).

٢. حسين، خالد. شعرية المكان في الرواية الجديدة: "الخطاب الروائي لإدوارد الخراط"

٣. المحادين، عبد الحميد. جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية.

٤. عبيدي، مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا: "حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد".

٥. صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر.

في حين أن البحث اتّخذ من المدونات الروائية الآتية مادة له:

١. النجدي، طالب الرفاعي.

٢. السيف والزهرة، علي أبو الريش.

٣. الطواف حيث الجمر، بدرية الشحي.

٤. النواخذة، فوزية شويش السالم.

٥. وسمية تخرج من البحر، ليلى العثمان.

٦. نافذة وبحر، علي الجاسم.

٧. الجوهرة والقبطان، زوينة الكلباني.

و يسعى هذا البحث في الكشف عن قيم جمالية وأبعاد دلالية قد تخرج بالبحر من صورته المعتادة بوصفه مكاناً واقعياً إلى صورته المتخيلة، ولما وجدنا من أهمية هذه الدراسة؛ فنحن نصبو إلى الإجابة عن العديد من الأسئلة التي كانت منطلقًا للبحث، ونواة فضولنا للشروع فيه، ومن ضمنها: كيف كان حضور البحر في الرواية الخليجية؟، كيف استخدم الكاتب الخليجي مستلزمات البحر؟ وما مدى تأثيرها على مكونات النص السردي " الأحداث، الشخصيات"؟.

وأما عن المنهج الذي اتّبعناه لبناء الدراسة، فقد بدأ لنا معالجة البحث بالمنهج التحليلي الوصفي في تناول البحر وعلاقته بعناصر الرواية الأخرى، من خلال تحليل آليات رسمه وتأطيره، ومن ثم استنباط جمالياته، والإبانة عمّا فيه من معانٍ وإيماءات مضمرة، كما أرتأينا في إشراك عدة أدوات قرائية متنوعة من المناهج النقدية، منها: المنهج النفسي، الاجتماعي، التأويلي؛ لتتكامل فيما بينها وتتكاتف لمعالجة مادة هذا البحث وتحقق الهدف المرجو منه.

علاقة المكان/البحر بالشخصية والحدث في العمل الروائي

تتجلى أهمية المكان في تلاحمه مع مكونات العمل الروائي، فلا يظهر منعزلًا عنها، بل يدخل في علاقات متعددة معها، وعدم "النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد"(١)، إذ تحتاج إليه الرواية من أجل رسم حركة الشخصيات، "فنقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان؛ لتنظيم حركة الشخصيات"(٢).

والمكان في العمل الفني عنصر فاعل، حيث "لا يصبح غطاءً خارجيًا أو شيئًا ثانويًا بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلًا في العمل الفني"(٣)، إذ يسهم في خلق المعنى بتداخله مع عناصر العمل الروائي، حيث علاقة التأثر والتأثير، فالأحداث لابد لها من مكان حتى تتحقق فيه، والشخصية تمتزج معه في علاقات عميقة، فثمة علاقة وثيقة بين المكان والشخصيات؛ فللمكان بالغ الأثر في تحديد مصائر الشخصيات، حين يمنحها الشعور بالانتماء أو النفور، حيث "الموضع الذي ترعرع الشخص فيه له أثر في هويته، وسلوكه، وتعاملاته مع الآخرين"(٤) والعناصر الروائية: "لا تتجلى ولا تتحرك إلا داخل المكان"(٥)، إذ بدوره "يقتضي وجود الشخصيات

(١) بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط ٢ (الدار البيضاء/ المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م، ص٢٧).

(٢) عاشور، عمر. البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة الهجرة إلى الشمال)، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ٢٠١٠م، ص٣٠).

(٣) النصير، ياسين. الرواية والمكان، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م، ص ١٧٠).

(٤) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص٢٦.

(٥) المحادين، عبد الحميد. جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، ص٩.

والأحداث وليس العكس"[١]، فيدخل في علاقات جدلية معها، ويسهم في تحديد طبائع الشخصيات نفسيًا وثقافيًا، حين يتخذ من مستلزماته وسيلة لرسمها وانفعالاتها عبر أحداث تشكلها اللغة والزمن.

تكمن القيمة الفنية للمكان في علاقته مع العناصر السردية الأخرى المكوّنة للنص، حيث يقوم الترابط بينها على المساعدة في إدراك القيم الجمالية للنص الروائي. ويدخل المكان في علاقات متداخلة مع العناصر الأخرى للسرد: اللغة، الأحداث، الشخصيات، وكذلك الزمن، فحركة الشخوص والأحداث تسير على خطوط زمانية، ويرتبط بالبعد الزماني والمكاني فلا يخلو منهما النص الروائي، حيث يشمل: "البيئة بأرضها، وناسها، وأحداثها، وهمومها، وتطلعاتها، وتقاليدها، وقِيمها، فالمكان، زاخر بالحياة والحركة، يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع حركة الشخصيات وأفكارها"[٢]، ومن هنا اكتسب المكان أهميته كعنصر حكائي قائم بذاته، ليس بوصفه حاضنًا لأحداث الشخصيات، بل لأنه مكونًا موحيًا مؤثرًا في النص السردي، يعين مع الزمن "الوسط الطبيعي وأخلاق الشخصيات وشمائلها وأساليبها في الحياة"[٣]، فكلاهما يشكل الآخر في معيته، والتعالق بينهم لتعميق العلاقة وفهم المغزى من النص الروائي.

---

(١) بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي، ص ٣١.

(٢) ديب، سيد محمد. فن الرواية في المملكة العربية السعودية النشأة والتطور (مصر: المكتبة الأزهرية، ط٢، ١٩٩٥م، ص٧٠).

(٣) الماضي، شكري. فنون النثر العربي الحديث (عمان/ الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦م، ص ٣٨).

ويحضر البحر في الروايات موضوع الدراسة بوصفه أكثر الأمكنة تأثيراً في مكوّنات المنجز الروائي، فيؤثر ويتأثر بها من خلال حركة الشخوص وأفعالها وإطارها الزمني، فهو العنصر الذي تتحرك فيه الشخصيات الروائية، وهو عضيد الزمن في حركته وتفاعله ونموّه.

اتصل الإنسان الخليجي بالبيئة البحرية اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، فتوطدت العلاقة بينهما، ودخلت في السرديات الخليجية، حيث شكلت عنصرًا فاعلًا فيها، بامتزاج علاقة الماضي بالحاضر، والحب والنفور، والقبول والرفض، وحب الحياة والسعي للموت...، استقطبها الكاتب الخليجي تمثيلًا للقيم والأصالة، وصولًا إلى علاقة التأثير والتأثر في جوانب هذه البنية المكانية، الأمر الذي يفضي إلى التداخل في بناء العمل الروائي الخليجي بوصفه فسحة خلاّقة تقدّم تفاعلًا ملموسًا بين شخصياته، وتتمحور فيه الأحداث في إطاره الخارجي أو في عرضه، من خلال لغة متنوعة، بوصفه ذاتًا موحية ومؤثرة وفاعلة في النماذج الروائية، والتعامل معه، في الوقت نفسه، بوصفه مرعبًا مخيفاً، ودوداً لطيفًا، وما إلى ذلك من العوامل التي أثّرت نفسيًا على الشخصيات داخل وخارج المكان/البحر بتأثير من الزمن.

وستقف الدراسة في هذا الفصل على علاقة المكان/البحر بعناصر العمل الروائي، في أربعة مباحث؛ العلاقة بين المكان/البحر والشخصية، والعلاقة بين المكان/البحر والزمن، والعلاقة بين المكان/البحر والحدث، والعلاقة بين المكان/البحر واللغة.

المبحث الأول

١. علاقة المكان/البحر بالشخصية

تعد الشخصية الروائية الركيزة الأساسية التي يعتد بها الروائي الخليجي في الكشف عما يحرك واقعه وما يريد قوله، فتتفاعل مع المكون المكاني/البحر في حالة اندماج وألفة واستئناس، يقابله نفور ومعاداة نابعة من وجهة نظر عدائية، يرصد فيها الروائي الحالات الانفعالية والوجدانية السلبية والتحولات التي تطرأ عليها، فتترك في عمقها أثرًا نفسيًا واجتماعيًا، بما يطرأ عليها من تحولات فكرية وسياسية واقتصادية. وتبدو العلاقة تبادلية يؤثر كل منهما على الآخر، فيتأثر المكان/البحر بأفعال الشخصية، وتخضع الشخصية لتأثيره، في علاقة عميقة تقوم على التمازج والاتساق، نشأتْ في لحظات تفاعل وتباين واستجابة لطقوس البيئة البحرية القاسية.

ويمكن رصد تلك العلاقة في النماذج الروائية التي يحضر فيها البحر بوصفه عاملًا مكانيًا مؤثرًا، فيتماهى مع الشخوص ويشكل محور حياتهم، ويحدد بالتالي مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، فتكشف عن أثرها في المكان/البحر وأثر المكان/البحر فيها، فحركته تنبثق من تفاعل شخصياته؛ أي من خلال العلاقة الجدلية وعلاقة التأثير المتبادل في التضاد والتنافر بين المكان/البحر والشخصية، انطلاقًا من كون الشخصية قوة فاعلة في أي نص سردي، ومولّدة لأحداثه ووقائعه، وكون المكان حاضناً لها.

فالبحر يتميز بحركة عالية، يحرك الشخصية فتقاوم العواصف والأنواء والإرادة والصراع والتوتر الداخلي، وبمقدار تقلبه تتقلب الشخصية فيه،

ويبقى هذا البحر مكاناً مجهولًا، "بطلاً مناوئًا ومنفرداً وساحقًا"(١)، يؤثر ويتأثر معها "لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه، أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل قد تسهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها"(٢)

تناولت الروايات موضوع الدراسة الشخصيات من منظور نفسي واجتماعي، مستمدة شيئًا من الواقع، من خلال تكوينها النفسي والجسدي والاجتماعي، وباستخدام أسلوب الوصف في تصوير سلوكها و أشكالها و أحوالها النفسية و الجسدية، وصراعها من أجل البقاء، و التعرف على ذاتها من خلال المكان/البحر، حيث يحافظ ثباته على حمايتها، الأمر الذي يفضي إلى التشتت والضياع للتشبث به و حماية عاطفتها، وبالتالي نجد المكان/البحر عنصر فاعل في تطور الشخصيات الروائية و بنائها، حيث يتجاوز المكان/البحر وظيفته الأولية إلى فضاء المكان والعلاقات المتشابكة و الأحداث التي تجري ضمنه متأثراً و مؤثراً، وعلى هذا تصبح العلاقات جدلية فاعلة منفعلة بين المكان/البحر وشخصياته، متباينة ومتفاوتة في تعامل وتفاعل الشخصيات في إطاره، من خلال عدة محاور:

١.١. الانتماء والتعلّق

هو علاقة تشعر فيها الذات بالقرب العاطفي من المكان/البحر؛ حيث يحدث اتصال وتفاعل بين الشخصية و المكان، فتتعلق بالمكان وتتشبّث به،

(١) المكان في النص المسرحي، (أربد/الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص١٦).
(٢) بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي، ص٣٠.

وتحقق ذلك في علاقة "خلفان" مع البحر في رواية "السيف والزهرة"؛ إذ استأثر البحر باهتمامه فشكل مصدر عشق ورزق وقوة وإلهام، حين كابد عناء الصيد وابنه "سلطان"؛ للبحث عن عذوبة الحياة من ملوحة المكان : "توقف القارب، أرخى خلفان المجدافين، وطلب من سلطان أن يساعده برمي الشبك ونصبه في البحر، قام سلطان وأخذ طرفًا، بينما نزل خلفان بالطرف الآخر في البحر، عرج به لمسافة بعيدة والشبك لا يزال رخوًا ملتويًا، سار به بعيدًا حتى توقف عند نهايته، عاد خلفان وقد بدأ ظهره المتقوس كسقف دكان الحاج خليفة، مهترئًا لكنه صامد، ينزف بالماء المالح، ورائحة الطحالب والأعشاب البحرية ورواسب الرمل.. رائحة نتنة لكنها لا تسد النفس، شهية حتى السكر.. تذكر سلطان.. هذه الرائحة شبيهة برائحة روث الأغنام التي تباشر أمه كنسها كل صباح.. شتان بين الرائحتين من حيث مفعولها في رأسه، رائحة البحر تجعله يزداد التصاقًا بالماء، بالملح، بالتعب اليومي، لا يهاب الموت، لأن من يصادق البحر لا يزوره الموت، ومن يتشمم رائحة الأتربة يخشاه سمك القرش، ومن يتذوق طعم الملح، يظل دائمًا يسعى وراء عذوبة الحياة.."[١]

ظهر تأثير المكان/البحر على شخصية "خلفان" في القوة والمهابة، فبالرغم من مكابدته عناء المكان ومستلزماته، لكنه ظلّ صامدًا أمام جبروت البحر وقوته، فظهره الذي يشتد به ظهر متقوسًا "كسقف دكان الحاج خليفة"؛ في إشارة إلى قوته وثباته والتي اكتسبها من معاشرته للبحر، حيث التزم الصمود والقوة والثبات أمام قسوة الحياة وشظفها، فرائحة

(١) أبو الريش، علي. السيف والزهرة (رواية)، (بيروت– لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩، ص٤٣).

المكان/البحر شهية وملوحته عذبة، ومكابدته أكثر نتاجًا وأمانًا وحرية، ويمتد أثر المكان في تحديد المهن والأعمال التي تزاولها الشخصيات، فالرواية اتخذت من الصيد مهنة لأهل القرى الساحلية، حيث ارتبطت تلك القرى بمهنة الصيد للحصول على الرزق، وهي التي كان يمارسها خلفان/الصياد، فكانت بسيطة عسيرة؛ لارتباطها بزمن الكدّ البحري في المجتمع الخليجي.

وتضمن النص تكثيفًا حسيًا بمفردات تخاطب الحواس وتوضح صلة "خلفان" بالبحر من خلال حاستي الذوق والشم في رائحة المكان/البحر وطعم ملوحته؛ لتشكّل في لغة شعرية الارتباط المكاني بالإدراك الحسي، فالبحر هو مصدر حياتهم وكيانهم النابض بالخفقان؛ وهو الوجود المتدفق والراحة الأبدية والقوت اليومي، ولتبدو العلاقة بين "عائلة خلفان" والمكان/البحر علاقة انتماء وتأثر، فبعد أن كان البحر سببًا في الشقاء والمكابدة، أصبح المكان المحبب المنتج؛ أكسبهم القوة والمهابة وحلاوة الحياة وعذوبتها. وفيما يتعلّق بتأثير البحر على الشخصية، نجده صقل شخصية "خلفان"، فجعلها لا تهاب الموت كهيبته، صامدة رغم العناء والشقاء من أجل البقاء والثبات، بل جعل حياتها عذبة نقية رغم ملوحتها، حينها وجدت الشخصية نفسها قوية مقاومة لكل منغصات الحياة بتأثير وسلطة المكان/البحر.

ويتكرّس انتماء الشخصية للمكان/البحر؛ حين تعيش الذات/خلفان حال الاهتراء والضعف ليحضر البحر وقد صقلها وكيفها كيفما يريد، فشكّل هذا الانتماء مرتكزًا لتشكيل هوية "خلفان" من خلال حزمة من الدلالات "الراحة، الأمان، الحب..."، جسدها البعد الزمني من حياة خلفان في معايشته للبحر؛ تفسيرًا لتعاطفه معه بالرغم من سلطته.

وشكّل البحر عاملًا مؤثرًا في علاقته بالشخصية؛ فتولدت علاقة حميمة بينه وبين "خلفان" بوصف البحر مصدرًا للعطاء والسخاء والقوة، تستمد منه الشخصية البسيطة قوّتها وقوت يومها، فتغدو الحياة رغيدة، وتشعر بـرابط روحي قوي بينهما، وتغدو العلاقة روحية بين البحر و"خلفان" يمنحها الحياة بالعطاء، حتى أصبح روحاً خفية تسري في عروقها:" البحـر صـديقي ولا أستطيع مفارقته أبدًا...أنا سمكة من أسماكه، أتنفس من هوائه، وأتغذى من مخزونه، وأشرب من ملوحته...أنا بدون هذا البحر صحراء قاحلة بلا عشب ولا ماء...مستنقع تفوح منه الروائح النتنة...أشعر بدون البحر، بـالموت، بالجفاف، بالقتر...ولا أدري ماذا سيحل بي لو منعت من ارتياد البحـر فـي يوم من الأيام..."[١]. تعلّقتْ شخصية "خلفان" بالبحر؛ فالبحر بهوائه وكائناته ومائه تحول إلى داخل الشخصـية، فنقلـت طبيعتهـا الداخليـة والنفسـية والعاطفية؛ وكشفت نوازعها الخفية، حتى عدَّ من كائناته والتي ما أن تخرج من عمقه ستصبح جسدًا بلا روح، فالعلاقة بينهما حميميـة وأكثـر قربًـا للروح، " البحر صديقي لا أستطيع مفارقته"؛ ففراق المكان هو فراق الروح من الجسد؛ وعطاؤه هو الغذاء المادي والنفسي والجسدي لتلك الروح، فكان طريقًا تتكشف بها الشخصية عن ذاتها، وجسدًا يحتويهـا، فبموتـه يمـوت وببقائه يحيا، فهو الأصل الثابت للبقاء:" البحر يا بني روحاً خفية تسري في عروقنا، فتمنحنا الحياة، وبدون البحر نحن خاوون وبلا روح"[٢]، وهو قطعة شعورية حسية ومكتنزاً لشخصية "خلفان"؛ كشفت بهـا الحالـة الشـعورية للشخصية، والتحولات التي طرأت عليها عند التخلـي عـن المكـان/البحر

(١) أبو الريش، علي. المرجع السابق، ص ٥٧.
(٢) المرجع السابق، ص٥٨.

واللجوء للتمدن النفطي، فالبحر عكس الحقيقة النفسية لشخصية "خلفان" حين انتقل من التأثيرات الخارجية إلى الباطن النفسي لها، وعدّ رمزًا من رموز الانتماء بالنسبة له؛ فهو المكان الأليف الذي أحس بالتعلّق به والانتماء إليه، بل أصبح مكاناً وجدانيًا يغذي الروح والجسد بمائه وأسماكه وترابه؛ هذا الحس البطولي الذي يعبر عنه "خلفان" اتخذ طابعًا فلسفيًا في التعايش مع المظاهر الطبيعية والاجتماعية، فالبحر هو أساس البقاء على هذه الأرض حتى الأزل.

ومن العوامل التي تعزز علاقة الانتماء للمكان أيضاً؛ استعادة ذكريات المكان التي نشأتْ فيه الشخصية. يحضر المكان في ذاكرة الشخصية ليس بوصفه طارئًا عليها، بل بوصفه جزءاً من مكوّنها الاجتماعي، يربطها به مشاعر وأحاسيس أسهمتْ في خلق علاقة الانتماء والتعلّق، ويتمثّل ذلك في علاقة "النجدي" بالمكان/البحر، حين استوطنتْ الذكريات رأسه مع والده قبل وفاته، إذ كان يحذره من ركوب البحر:" البحر لا يعرف صديقًا"(١)، لكنَّ حب المكان ارتبط معه منذ نشأته وفي أعماق حسه الإنساني:" يا والدي ليتك عشت وتأكدت أن ولدك صادق البحر، وأن البحر قَبِل صداقته وأعطاه حياة وعزاً"(٢) يا والدي: "أنا سمكة قرش تموت لحظة تفارق البحر، منذ تركت البحر تركني العيش، وحْشَةُ ووحشُ اليابسة لا ينفكا يأكلان روحي فألجأ لحضن البحر، ينادي عليَّ فأذهب كالمنوّم إليه، عشتُ عمرًا في بيته المترامي، قسا عليَّ في أوقات كثيرة، لكنه خذلني. يا والدي، هل تصورت

(١) الرفاعي، طالب: النجدي (رواية)، (الكويت: ذات السلاسل، ط١، ٢٠١٨م، ص١٦).
(٢) المرجع السابق، ص ١٦.

يوماً صداقةً بين بحر ورجل؟ بين بحر ونقطة؟ أنا نقطة في بحر البحر يا أبي."[١].

تبدو العلاقة بين "النجدي" والبحر علاقة تأصيلية، حيث النموذج الصادق للقيم الإيجابية والسلبية للبيئة التي نشأ فيها، فجعل السارد المكان/البحر سببًا في تأصّل المكوّن النفسي والاجتماعي والاقتصادي للذات/النجدي، ففي ترك البحر موت روحي للذات التي وعلى الرغم من قساوة البحر إلا أنها ظلّتْ صامدة فيه، ومدافعة ومناضلة عنه.

تحضر شخصية "النجدي" بوصفها شخصية واقعية، تتفاعل مع المكان/البحر تفاعلًا لافتًا؛ من خلال مقاومة قسوته ومواجهة سلبيته من جهة، والحنين والشوق له باستعادة الذكريات معه من جهة أخرى. يتوهج حضور "النجدي" في البحر بوصفه محطة الذكرى التي من خلالها تنسحب الذات/النجدي من واقعه المأزوم، ليعود نحو الماضي.

ولأن البحر ممثلاً للخصوبة والنماء، تعلّق النجدي به حتى أصبح جزءاً منه: "أنا نقطة في البحر"، فتشكّل خلال ذلك رابطٌ روحيٌ قويٌ بينهما، الأمر الذي عزز هذا الانتماء الذي كان محفورًا في وجدانه، فعلاقة الذات بالبحر علاقة حميمة تكوّنتْ منذ الطفولة، إذ يعدُّ هذا الارتباط جزءاً من ثقافة المجتمع البحري قديماً، لذا يعكس المكان: "ما يجول بخاطر الشخصيات من الأحاسيس سواء أكانت فرحاً أم حزناً، أم شعوراً بالأمن أو الخوف"[٢]، لكن

(١) الرفاعي، طالب: النجدي (رواية)، ص١٧.

(٢) بطرس، أنجيل. دراسات في الرواية العربية (مصر: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٣٩).

البحر قابله بالخذلان وبمأساوية المصير، حتى انتهتْ تلك العلاقة بالنداء الأخير "تعال" حيث ابتلعه المكان/القديم.

ويتمثل أيضاً تعلّق الشخصية بالمكان/البحر في علاقة "سعود" بـ "هيا" في رواية "النواخذة"؛ حيث يحضر البحر بوصفه معادلاً موضوعياً للحبيبة "هيا": "(هيا) حبي لك يدفعني لحب البحر...كلاكما غبة وطريق صعبة...كلاكما مغامرة والروح لها رهينة...حلم كبير أنتِ... الله...يا (هيا) وأنا في البحر تمتزج صورتك والسفينة ولا أعرف أفرق بينكما..."[(١)].

يتجلى في هذا المشهد، المعنى الرمزي للمكان/البحر المستمد من الخيال بقيمته الجمالية والنفسية؛ فالشعور به يكشف عن تماهي الحبيبة "هيا" في البحر، فكلاهما وسيلة صعبة لبلوغ الغاية، فـ "هيا" ابنة "إبراهيم العود"، حيث يقف سدًا منيعًا وحاجزًا لبلوغها، والدخول في البحر وخوض غماره، مغامرة صعبة لبلوغ الجاه والعز والمال، وشخصية "سعود" ترى وجودها من وجود "هيا" التي تتماهى في علاقتها مع المكان/البحر، فهما متلازمان إلى الحدّ الذي يرتبط فيه تحقق وجودها بوجود الآخر/البحر.

ويتبدّى تعلّق الشخصية بالبحر أيضاً، حين يستحيل البحر إلى معشوقة سخيّة؛ تهب معشوقها مراده، ويتجلّى ذلك في رواية "وسمية تخرج من البحر"، حين يندفع "عبد الله" إلى البحر حيث انفتاح الذات والراحة النفسية: "استلقى على ظهره وتشمّم نفسه لعلّ شيئًا من رائحة البحر تحدّى الليفة والصابونة وظل صامدًا. آه على البحر.. هذا الساحر الذي يعشقه وتذوب

(١) السالم، فوزية شويش. النواخذة، ط١(سوريا، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٨م، ص٣١).

عيناه وهو يتأمل زرقته، يمشي إليه كالمنوم، وحين يتسرب الزفر إلى أنفه ورئتيه يعود إلى النشاط، وتدبُّ فيه الحياة. وحين يلقي بجسده المتعب في أحضان الموج ويحيط به الزبَد يشعر وكأنّ عرائس نشوى تغازل كيانه، وحين يرتمي على رمله يحسّه مثل وسادة تغنيه عن أنعم الوسائد، إنه يدغدغه ويمسّده، وقواقعه تحكي له عن مشروعها لليوم التالي قبل أن تسحبها الموجه إلى قلب البحر..."(١)

يحضر البحر بوصفه مكاناً تخييلياً في العلاقة الحميمة التي ارتبطت بينه وبين الذات/عبد الله، حين تماهى مع حبيبته "وسمية" التي تتبدّى في أمواجه، وسط علاقة يهيمن عليها الحب، وتعبر عن قيم الحياة الأصيلة، حيث بدأت من البحر ومنه انتهت.

أثّر البحر على الذات/عبد الله من خلال استثارة عاطفة الحب التي يحملها للبحر، فظهر البحر في صورة أنثى حيث عالم الصفاء والحلم والأمان، وعالم الحرية والحب العذري ببراءته وطقوسه وجمالياته، فكان للبحر أثراً في إثارة شجن الذات/عبد الله وشوقه لـ "وسمية"، فاستحضرها وتوهجت في خياله عندما استلقى على ظهره "وتشمم نفسه لعل شيئًا من رائحة البحر"، وفيها إشارة إلى عالم البحر الأنثوي، ذلك العالم الذي ينتمي إليه عبدالله، ويخضعه لحالة مصطنعة شبيهة بالنوم، يصير معه تحت تأثير الحلم، فيغيب فيها عن الإرادة والوعي جزئيّا، فيتحقق الانفصال عن العالم الخارجي، الأمر الذي يفضي إلى السلام والأمان مع تدفق الأمواج، ويولّد الشعور بالراحة والهدوء والتخلّص من المشكلات النفسية

(١) العثمان، ليلى. وسمية تخرج من البحر (بيروت– لبنان: دار الآداب للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٠).

والاجتماعية التي مرّ بها، باعتبار أمواج البحر امرأة في لحظة نشوة، يستعيد معها من خلال اشتمام رائحة البحر ذكرياتهم المندسة بين الأوجاع والأمنيات، وحين يرتمي على رمل المكان فكأنه وسادة يتوسدها في لحظة وجد ومكابدة، يرتمي بنفسه ويعانقها ويخلصها من شدتها وكربتها.

تماهتْ الذات/عبد الله في علاقته بـ "وسمية" ذاتيًا وجسديًا مع المكان/البحر، وتناغمت داخل الذات/عبد الله مع خارج المكان/الرمل؛ لتبين براعة الكاتبة في القدرة على الحفر في دواخل الشخصية، وتقليب مشاعرها إلى ما يدور في خارجها من أحداث وصراعات وتحديات، وما يحمله ذهنها من ذكريات وآمال وتطلعات؛ ليكشف عن واقع العلاقة بين "عبد الله" و"وسمية" التي نبذها المجتمع ورفضها.

وتبدو مظاهر التعلّق والانتماء إلى البحر في صورة التحدّي، حين تقف الشخصية في مواجهة البحر تتحدّاه وتواجهه، بوصفها جزءاً منه، ومن مستلزماته؛ يقول "النجدي" مخاطباً البحر: "تعرفني يا بحر، النجدي لا يضعف ولا يستسلم للعاصفة عمري سبعون سنة، ولدت من خاصرتك وتربيت في حضنك، أنا ولد شرق، أنا النوخذة اللي ما يخاف. صديقك: سبع البحر، عشت وسط غبّة البحار والمحيطات أكثر مما عشت على اليابسة"[١] .

يحضر "النجدي" في موقفٍ قويٍ مع البحر؛ حيث الثبات بالبقاء ومنازلة أهوال البحر وعدم الاستسلام لمصاعبه؛ فتتحقق عمق العلاقة من خلال كشف المفردات "تعرفني، ولدت، تربيت، صديقك"؛ لتشير إلى أصعب اللحظات التي ظهر فيها "النجدي" بوصفه بطلاً، فـ"النجدي" ابن البحر يعرفه

(١) الرفاعي، طالب. النجدي، ص١١٥.

جيدًا، يألفه يعرف تفاصيله، يبوح له بوحًا صادقًا بوصفه شخصاً عزيزاً يفشي سرّه له، تتجلّى هنا علاقة مرهونة بحب البحر وطبيعته المتقلبة، ارتقت إلى أن يكون "النجدي" معادلًا له في بسالته وشجاعته وذكائه بتغلبه على قراصنة المكان، ومعادلاً له بوصفه رمزًا للقوة والجرأة والصلابة، تقويها شغفه به إذ هو منبع بطولته.

ومن جانب العلاقة التفاعلية بين المكان والشخصية، ترى الحراحشة أن "للمكان علاقة تفاعلية تبادلية عميقة مع الشخصية، ويرتبط بالشخصية ارتباطاً قوياً، فهو قوة فاعلة مؤثرة في سلوك الشخصيات وأفعالها وممارساتها، بل وحياتها كلها، فالشخصية هي نتاج للبيئة المكانية التي تولد وتنشأ وتترعرع فيها"(١)، وأن وصف بيئة المكان هو وصف للشخصية مما يوضح أثر المكان بالشخصية بتحديد اتجاهاتها وأنماطها وسلوكياتها وتصرفاتها، ويكمن أثره على الناحية النفسية والجسدية، فتصبح العلاقة علاقة انصهار وانتماء وتآلف، مما يؤكد قوة الحضور المكاني في الشخصية وفق مناخه القاسي والمعتدل، جاء ذلك في رواية "الجوهرة والقبطان"، حيث العلاقة التي تقيمها "الكلباني" بين المكان/البحر والبحارة، علاقة شديدة التماهي والالتصاق والانسجام بين الشخصيات والبيئة البحرية: "فقراء كنتم ولكنكم مغامرون، بسطاء ولكن نفوسكم... تشبهون البحر في صفائه وغضبه وعمق أسراره... قاسيتم الجوع، وتلذذتم بالفتات، واستمتعتم بجمع الأصداف، ومطاردة سراطين البحر بين الصخور... لا حدَّ لطاقتكم تصلون النهار بالليل والصباح بالمساء...متعتكم الاستثنائية البحر...الابتسامة لا

(١) الحراحشة، منتهى. الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم (أطروحة ماجستير)، المفرق/الأردن: جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م، ص٥٥).

تفارق وجوهكم حتى ذروة أوجاعكم...ثمة أمل يتوهج في داخلكم...دوماً متفائلون، تؤمنون بالغد، وتتطلعون للآتي"(١).

تبرز قوة المكان/البحر وسطوته على البحارة، من خلال ما يتركه من أثر في سلوكها وتحولاتها، فيتجلى عبر تصوير عالم الشخصية الخارجي في حالات السكون والحركة/الكدّ والعمل، وينهض المقطع السردي في ضوء علاقة المكان/البحر بالشخصية وفق دلالات عدة، فعلى صعيد تحديد بيئة الشخصيات، ينتمي البحارة إلى طبقة الفقراء البائسة، التي تبحث عن رغد العيش والرزق بقوة الكدّ، فالعلاقة بينهما قائمة على البحث عن سبل الحياة وإثبات الوجود، وهو الملاذ الذي يتجهون إليه رغم ظروفهم القاسية، وبرغم طبيعته الجاذبة، إلا أنه يسجل في الصورة الذهنية مواقف الرعب والخوف والاتجاه إلى المجهول لسبر أغواره. فالأفعال والتراكيب الواردة في النص، تمنح المقطع السردي دينامية شعرية تقوم على التفاعل بين المكان/البحر من جهة، والشخوص/البحارة من جهة أخرى، لتكشف عن طبيعة التماهي بينهما.

٢.١. النفور والعداء

كما أنّ البحر يقع في نفوس بعض شخوص الروايات موضوع الدراسة موقع الصديق، حتى تتوطد العلاقة بينهما ويبلغ الإحساس بالانتماء إليه مبلغه، فإنه في الوقت نفسه يقع في نفوس شخصياتٍ أخرى موقع العدو الذي ينبغي الابتعاد عنه والنفور منه.

---

(١) الكلباني، زوينة: الجوهرة والقبطان (رواية)، (عُمان/مسقط: بيت الغشّام للنشر والترجمة، ط١، ٢٠١٤م، ص٩).

وقد تمثّل العداء والنفور من البحر في ثلاث صور: صورة الخوف من الموت، وصورة التعب والفقر، وصورة الفقد.

أمّا الصورة الأولى فتتمثّل في رواية "السيف والزهرة" حين يتحول البحر إلى مكان قلِق، تشعر تجاهه الشخصية بالخوف من الموت، حتى يتمثّل البحر للشخصية مكاناً مأزوماً منفّراً. تحضر شخصية "سلطان" الصياد الذي كابد العناء مع والده أثناء رحلات الصيد والإبحار، لتعاني من تسلل الخوف من الموت بسطوة المكان: "أمي كانت تحذرني دائمًا من الماء، من الغرق، من الموت في جوف البحر، تذكرني بكثيرين من أبناء الحارة الذين ذهبوا ضحية لهذا البحر، حتى أصبحت أخشاه كثيرًا، اعتبره الوحش المفترس، على الرغم من أنني كبرت وتعلمت فنون السباحة، ومهما غطست في الماء ولعبت فلن أغرق، لأنني أعرف طريق النجاة، لكنني لا زلت أخشى البحر، أخاف من الموت في جوفه...البحر رهيب جدًا ذكرياتي معه أشد رهبة..."(١). "وأبي يعرف ذلك جيدًا ولذا أراد أن يؤقلمني ويعودني على الصبر... يعرف أنني أنتمي إلى عالم غير عالمه لكنه أنكر ذلك فأدخلني البحر ظلمًا وعدواناً... يريدني أن أرث قاربه لأواصل نفس أسلوبه في الحياة"(٢).

تعيش شخصية "سلطان" حالاً من الصراع النفسي؛ يتمثّل في خوفه وعدائه للبحر الذي حذرته أمه منه، من خلال مواقفه المشؤومة مع مرتاديه من جهة، وسعي والده، في الوقت نفسه، إلى تعليقه بالبحر وإرغامه على خوض غماره وممارسة طقوسه من جهة أخرى، هذا الصراع الذي تعيشه

(١) أبو الريش، علي. السيف والزهرة، ص٤١.
(٢) المرجع السابق، ص٧٨.

الذات/سلطان ولّد رهبة وخوفاً ونفوراً من البحر الذي طبع في نفسه علامة الخوف من الموت، فحملته حالة سلبية تجاه المكان/البحر نتيجة استدعاء الذكريات المأساوية والمرعبة: "ذكرياتي معه أشد رهبة"، وهنا تصوير لحالة الرهاب التي تعتري الذات/سلطان حين يخوض البحر، على الرغم من تمكّنه الجسدي منه: "على الرغم من أنني كبرت وتعلمت فنون السباحة، ومهما غطست في الماء ولعبت فلن أغرق"، غير أنّ صورة الخوف والرهبة من البحر هي التي هيّمنتْ على الموقف.

وتمثّل الذات/سلطان في رواية "السيف والزهرة"، أيضاً الصورة الثانية، التي يحضر فيها البحر بوصفه مكاناً مفضياً إلى العوز والحاجة والفقر: "وكم أنا كاره للقارب والبحر والموج، يجب أن أغير هذا الإزار الرث، والقميص المرقع، لا أستطيع تحمل هذا الوضع المالي الرديء"[١]...لا أريد البحر ولا أحب أن أفهم فنون السباحة، لأنها لن تقعدني على ذاك الكرسي العملاق، ولن تجلسني في المكتب الضخم ذي الفراش الوثير، لم نجن من البحر غير البؤس والشقاء ومرض أبي الخطير"[٢]... أنا أعيش في جحيم الإحساس بالفقر وأنت تعيش بنعيم حبك للبحر والقارب، آه ما أقوى صبرك وتحمل قدرتك على هذا الكابوس اللعين، كابوس الفقر يلعنني في كل لحظة أفكر فيها بمكتب المدير، وأفكر في القارب الرث الصغير[٣].

مثّل البحر في نفس الذات/سلطان عالماً مبتذلًا لا روح فيه ولا حياة، ومصدراً للفقر والعوز والحياة الرثّة البالية، فحاول التمرد على القارب

(١) أبو الريش، علي. السيف والزهرة، ص٧٨

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص٨٠.

والمكان؛ "لأن المكان عنصر في البناء السردي، يكون مثيرًا لصراع الشخصية حين يظهر معبأ بوسائل الضغط المادية والمعنوية على نفسية الشخصيات وفكرها"(١) من أجل تغيير حالته المادية والنفسية معاً، تلك الحالة التي خلّفها خوض البحر مع والده، فشكّل البعد الاقتصادي دوراً في نفوره منه، والنزوح عنه إلى المدينة حيث الحياة الفارهة: "ولن تجلسني في المكتب الضخم ذي الفراش الوثير".

دفعتْ حياة الفقر والعوز التي شكّلها البحر بالذات/سلطان إلى التفكير بالانسلاخ التام عن المكان/البحر، فتخلّقت في نفسه الكراهية لكل ما يمت للمكان بصلة: "وكم أنا كاره للقارب والبحر والموج"، الأمر الذي أفضى إلى أنْ يلقي بالملامة على البحر في تكوّن حال الشقاء التي يعيشها ويعاني من ويلاتها: "لم نجن من البحر غير البؤس والشقاء ومرض أبي الخطير". من هنا، كان تفاعل الشخصية مع المكان/البحر تفاعلاً سلبيًا؛ حين استحال البحر إلى مكانٍ يشي بالشعور بالوحشة والعداء، لكونه مصدراً للفقر والبؤس والشقاء.

أمّا الصورة الثالثة من صور العداء والنفور من البحر والمتمثّلة في صورة الفقد، فتحضر في موقف الذات/عفرة في رواية "النواخذة"، حين سلبها البحر ابنها: "ثم تقدمت المملوكة "عفرة" بكل القوة والعزيمة، بكل القهر وعذاب روحها الثكلى، حملت النار وسعفتها، خاضت في الماء، خاضت حتى ركبتيها، أشعلت سعفتها وأخذت تكوي البحر، من جمرها تشعل وتكوي البحر، كوته في عينه مثل ما أبكى عينها، كوته في قلبه مثل ما

(١) البرزنجي، أمل. الصراع الحضاري في الإبداع القصصي السعودي (بيروت: منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٣م، ص٥٣٤).

أوجع قلبها، كوته في روحه مثل ما سرق روحها، كوته في كل الجهات، أحرقت خواصره مثل ما أحرقها على ضناها"(١).

يكشف المقطع السردي عن مشهدٍ مأزوم، ترسم الذات/عفرة، المكلومة بابنها، حدوده وتؤسس لقواعده؛ فوجع الفقد الذي أحدثه البحر في نفسها، جعلها تحيل البحر إلى إنسانٍ مُستحَقٍ للعقاب. أنْسنَتْ الأمُ الثكلى البحرَ وعاقبته بالكي؛ لتكشف عن تلك العلاقة الإنسانية المأزومة وجدانيًا تجاه هذا المكان المأزوم أصلاً، وعلى ذلك نلحظ انتقال العلاقة من سلطة المكان إلى سلطة الشخصية، الأمر الذي أفضى إلى انبثاق مفردات من قبيل "أحرقتْ، كوته، أشعلتْ"، وهي مفردات تشي بحجم الفقد ووجعه، كما صنع للذات/عفرة نفوذًا أدّى إلى أن يخضع البحر لها، حيث استمدّتْ من العدو/البحر قوتها وعزيمتها على الانتقام منه، والسعي لإبادته من خلال حرقه، وتبديد سطوته، لتحيله إلى رمادٍ كامل، يماثل غيابه غياب ابنها الذي سلبها البحر إياه.

ومما تتقدم تتجلى العلاقة الوثيقة بين المكان/البحر والشخصيات الروائية تأثيرًا وتأثرًا، بوصفها علاقة تبادلية تفاعلية، حين يأخذ كلًا معناه من الآخر، فقدم المكان/البحر حسب الوضع النفسي والاجتماعي للشخصية، حيث تقرأ تقاسيمه في حركات الشخوص وسكناتهم، وفي انفعالاتهم وسلوكياتهم، وكذلك في آثاره السلبية والإيجابية، وفي تباين استجابتها من جانب التفاعل والعدم؛ في صورٍ عدة تمثلت في الانتماء والنفور والعداء؛ ليكتسب كلًا منهما صفات الآخر.

---

(١) السالم، فوزية شويش. النواخذة، ص٢٣٠/٢٣١.

المبحث الثاني

٢. علاقة المكان/البحر بالحدث الروائي

يمثّل الحدث في المنجز الروائي واقع النص، والعمود الفقري لمجمل العناصر السردية فيه؛ إذ هو: "فعل الفاعل سواء كان فرداً أو جماعة"(١)، وهو الإشارة الدالة على الوجود الإنساني إذ "يجذّر القوى الفاعلة في فضاء النص"(٢).

يتشكل الحدث خلال أعمال وأفعال تقوم بها الشخصيات داخل الرواية، في سلسلة متتابعة منطقية؛ ليكشف عن أبعادها وصراعاتها الداخلية، وحالاتها الانفعالية كالفرح والحزن، والغضب والضحك، ترتبط مع بعضها عبر مكان وزمان معينين، بوصفها الركيزة الأساس في الرواية، حيث يحكمها تسلسل زمني، وارتباط مكاني محددين.

ويحضر المكان بوصفه العامل الرئيس لتجسيد أحداث الرواية، إذ يمثل خلفية هذه الأحداث، متمثلة بالزمن في حدوثها وتطورها، عبر لغة متخيلة تضفي على المكان وصفًا خياليًا بعيدًا عن الواقعية، فيغير أبعاده الروائية والنفسية "ليجعله يشعر بضيق المكان رغم اتساعه، أو قبحه رغم جماله، أو صخبه رغم هدوئه، عبر أفعال ملموسة تدركها الحواس، أو شعوراً معنويًا

---

(١) علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٦م، ص٤٤).

(٢) حسين، خالد. شعرية المكان في الرواية الجديدة: "الخطاب الروائي لإدوارد الخراط"، (الرياض: مطابع مؤسسة اليمامة، ٢٠٠٠م، ص١٠١).

يتعلق بالنفوس"[١]، في عملية تبادلية تأثيرية بين الأحداث والشخصيات؛ إذ تؤثّر الأحداث على الشخصيات في تكوينها المادي والمعنوي، نفسيًا وثقافيًا، فينتج تفاعلًا متباينًا في مواقف ذاتية عاطفية، عبر صورة لغوية متمثلة في الفعل، يضمّها بناء مكاني يسهم بشكلٍ كبير في تشكيل هويتها ومواقفها ووجودها ومسار أحداثها اليومية.

والبحر من الأمكنة التي ترتبط بخطية الأحداث السردية، إذ تدور فيه الأحداث والوقائع الحكائية، وتتمركز حوله الفاعلية الشعرية، محملاً بطبيعته المرجعية وأبعاده المجازية، ومغلفًا بالغموض، الأمر الذي جعل منه رمزاً للبقاء والفناء، والفراق واللقاء؛ تتعايش معه الذات ومحيطها المجتمعي ضمن مواقف مدهشة الإحساس، ومثيرة المشاعر والانفعالات، وسط أحداث خيالية، لها التأثير في التكوينات الداخلية والخارجية للشخصية، انطلاقاً من كونها المحرّك الرئيس للأحداث؛ تعززها العلاقة بين المكان/البحر والحدث بصناعة الشخصية في لحظات وداعٍ، ومناجاةٍ، ومغامرةٍ، وبحثٍ عن الهوية، ويؤسسها نسق زمني معين، يؤكد التعالق بين المكان/البحر مع عناصر العمل الروائي، بأحداث تناسب البيئة البحرية بوصفها عالماً ترامياً في المكان والوعي والمخيلة.

ارتبط البحر مع الأحداث الرئيسة، في المدونات موضوع الدراسة، ارتباطاً جدليًا، وقد أسهمتْ طبيعته الجغرافية المتمثلة في كونه مكاناً شاسعاً مفتوحاً في تعزيز هذا الارتباط وتقويته، كما ارتبط أبطال البحر، الذين خاضوا غماره، بالأحداث فيه ارتباطاً تبادلياً تفاعلياً؛ حيث تتفاعل الشخوص

(١) البليهد، حمد. جماليات المكان في الرواية السعودية، (الدمام: دار الكفاح للنشر والتوزيع، د. ط، ١٤٢٩هـ، ص٨٣).

مع البحر بوصفه سخيًا كريماً، وعنيفاً غداراً، وغامضًا مجهولاً يبعث الحرية والانطلاق نحو التحرر الروحي والجسدي عند خوض غماره، وتحضر أمواج البحر في تقلباتها نحو الارتفاع تارة والانخفاض تارة أخرى لتشي بالعلاقات الإنسانية المتغيرة.

انطلاقًا من تلك المعطيات، تناولت الدراسة العلاقة بين المكان/البحر والحدث بوصفها علاقة تلازمية مؤثرة ومتأثرة، فتمظهر بناء الحدث وفق علاقته مع المكان/البحر من خلال محورين:

١. البحر ورحلة الجنائزية

٢. البحر ورحلة الانعتاق

١. البحر ورحلة الجنائزية

١.١. البحر مقبرة العشق

يشكّل المكان/البحر في رواية "وسمية تخرج من البحر"، في تعالقه مع الحدث ثنائية ضدية؛ حيث تحضر القيم الاجتماعية في صورة سلطة ذكورية، تتعرض المرأة فيها للتعنيف المعنوي، ومصادرة رأيها واستبداد حريتها، ويبقى صوتها مهمّشاً وسط النظام الاجتماعي السائد، حيث تكشف الساردة العنف الاجتماعي الموجه ضد المرأة/الكاتبة في فترة الخمسينيات، لتقرر الذات/وسمية الخروج عن هذا النظام القمعي بالهروب خفاءً، لتلاقي مصيرها المأساوي غرقاً في البحر: " عباءتها تطفو...يتلاعب بها الموج...يشدّها...يفردها...يقسو عليها يكاد يمزقها، أسرعت إليها، خطفتها،

شددتها إليّ وقد حسبت أنها وسمية تخرج من بحرها وتأتي...تخرج من خوفها وتأتي...لكنّ العباءة جاءت وحدها بدون وسمية و..."[١].

أسهم المكان/البحر في ابتلاع الذات/وسمية، حيث استغل فعل الابتلاع مع الزمن في إظهار الضدية لفعل التمرد للضغط على الشخصية، التي استغلتْ معرفتها بالمكان/البحر لتحقيق حلمها بالخروج عن القيم، ومن ثم استغلال الليل لإحداث الفعل، كونه تغذية للروح وترسيخاً للاستقرار والانعتاق الروحي، والساتر لتلك الجريمة التي لم تقترف: "ستخرج معي وسمية تحت ستر الليل إلى البحر، وستشم رائحته، تسمع همساته، وترتاح على رمله"[٢]،"هل ستفي وسمية بوعدها؟ هل نقيم عرسًا نستعيد فيه ذكريات الطفولة التي غابت؟"[٣]. أرادت الذات/وسمية الانعتاق والتحرر والاستقلالية، لكن رائحة البحر، وهمسات أمواجه، وراحة رمله، التي كانت تجد فيها الذات/وسمية لذة الحياة والاستقرار والحرية، اتحدّت مع الليل، لتبتلع "وسمية"، وتنفث شيئًا من لوازمها/العباءة، في إشارة إلى بقائها ووجودها على الرغم من غرقها.

أسهم المكان/البحر في جدليته مع الحدث الروائي، في تطور الأحداث ونموّها نحو التوتر والعداء، فبعدما كان البحر معشوقاً[٤]، أصبح عدواً بفعل الحدث/الغدر والغرق: "رحلَتْ...وتركتني في قيعان الشجن والندم وحدي.

(١) العثمان، ليلى، ص١٤٧.
(٢) المرجع السابق. ص١٢٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٢٣.
(٤) المرجع السابق، ص٥٣.

وسدّتها ذراعي وأنا راكع أصلّي وأتوسل وأبلّلها بدموعي. لم يبللها البحر (الكلب) كما بلّلتها دموعي.

حقدت عليه وموجه يبدأ رحلة المدّ ويتدافع نحوي، يصل إليّ وأنا أحضن وسميّة ثم يهرب كأنه يخشى أن أقتله. صرخت في وجهه...لعنته:

(يابن الكلب، يابن العاهرة. أنت خائن وأنا أكرهك...أكرهك...فقد قتلت حبيبتي التي أحبّتك وأحبّتني. لماذا قتلتها أيّها القاسي الحقير؟)"[١].

أثّر البحر بفعل الحدث في علاقة "عبدالله" حبيب وسميّة بالبحر، حيث تحوّل البحر إلى عدو لدود، فبعد أن كان البحر ممثّلاً للارتباط العاطفي قبل وقوع حدث الغرق، تحوّل إلى عدوٍّ قاسٍ حقير. فتراجع البحر بصفاته العاطفية، وحضر بصفاته العدائية، ليكشف عن الصراع النفسي المعتلج في مشاعر "عبدالله"، فيتوارى الفعل الحسّي للقلب ليظهر فعل العقل ووعيه وإدراكه في صيغ نفي وضجر واستنكار: "تركتني في قيعان الشجن وحدي/ أبللها بدموعي لم يبللها البحر "الكلب"/ أنت خائن وأنا أكرهك/ لماذا قتلتها أيها الحقير".

استعار "عبد الله" لفظة "الكلب" مجازاً، حين تكالب البحر مع القيم ضد الذات وجاهر بالعداء، فلم تعد في ذاكرة "عبد الله" سوى شذرات من الماضي، يمثل معها ثنائية ضدية في الارتباط العاطفي من خلال لحظته الحاضرة بأفعال البحر "حقدت عليه، أكرهك، قتلتها"؛ للتعبير عن الحاضر بما يحمله من صفات ضدية في نفسية "عبد الله" تجاه البحر. وتتوالى الجمل السردية الدينامية: "رحلت، سدتها ذراعي، أبللها بدموعي، أحشن وسمية،

(١) العثمان، ليلى، ص١٥٠.

يهرب البحر"؛ ليعمّق من تفاعله السلبي مع الحدث بتأثير من البحر، الأمر الذي عمّق من معاناة العاشق، وتجلّي الصفات الضدية المتناقضة بين الشخصية والمكان.

ويصور التكرار اللفظي "أكرهك...أكرهك"، الظل الخفي للحياة الروحية التي يعيشها "عبد الله" بعد "وسمية"، والتأزم النفسي، والتحول الداخلي العميق في المشاعر تجاه المكان/البحر، حيث يكمن أثره على الشخصية بواسطة الحدث/الابتلاع؛ في نبذ التمرد والخروج عن القيم بالتخفي.

كان لفعل الابتلاع بالغ الأثر على ذاكرة الذات/عبد الله، حين أدّى الحدث الماضي ممثلاً بموت "وسمية" في حياته دورًا في توجيه أحداث لحظته الحاضرة، فأقرّ بسوء العلاقة مع المكان/البحر، بعد أن كان مقرّ الأحلام، ومهوى الأحباب: "ها هو البحر الذي نعشقه وزففنا إليه أرواحنا ليهدينا لحظة عمر حلوة، ها هو يخوننا هو أيضًا ويأخذ وسمية."[١].

وبتقدم الزمن ومع تطور الأحداث، حلّت المفارقة في موقف الذات/عبدالله تجاه المكان/البحر؛ لينتقل أثر البحر بفعل الغدر من ذاكرة العداء، إلى متسعاً للملمة الوجع والألم والأحزان، عندما تتوارى في صورته "وسمية"، حين جاءت إليه حماية لعرضها وعفتها من التدنيس باسم العيب: "يا بحر...

لن أهجرك...لا أستطيع...فأنت قبر حبيبتي. أعدك ألّا أهجرها وأهجرك، سأصير صيادًا أصطاد الأسماك وأرى في وجه كل سمكة وجهها، وفي عين كلّ ميدة عينيها.

---

(١) العثمان، ليلى. المرجع السابق، ١٤٩.

أيّها البحر...

سأحبّك رغم كرهي لك...وسأصفح عنك رغم غضبي منك...لا لأجلك بل لأجل وسمية التي في عمقك وستبقى في عمقي."[١]

يقدّم هذا المشهد السردي شخصية تعيش صراعاً وتضارباً في المشاعر تجاه المكان/البحر. يُستَهَل المشهد بأسلوب النداء "يا بحر"، وفيه تشخيص للمكان الذي تضاربتْ تجاهه مشاعر الذات/عبد الله "سأحبّك رغم كرهي لك...وسأصفح عنك رغم غضبي منك"، تحولتْ مشاعر "عبدالله" تجاه البحر من الغضب إلى العشق؛ حيث وجد فيه الدفء الزاخر بعطائه بوصفه قبراً لـ "وسمية"، والذي كان رمزاً لاستلاب الذات/المرأة المهمشة، ومع تقدم الزمن وتطور الحدث، تحول المكان/البحر من وصفه قبراً لقمع الأنثى، إلى مكان يكتنز بصوت الماضي، وتتفاعل مخيلة "عبدالله" مع هذا الفيض المكاني مضللاً بالتوق والأمل، حتى صار البحر متنفسًا لأوجاع الذات، يحمل في مدّه وجرزه أصداء الحبيبة، تمارس فيه الذات طقوس العشق والهيام؛ حيث مداعبة الأسماك بوصفها الأمل في العبور للوصول للعمق ومناجاة "وسمية"، وباستشراف الحدث عبر الأفعال "سأصير، سأحبك، سأصفح"؛ لتغيير مجرى الحياة.

٢.١. البحر وألم الانفصال

ولما كان للمكان سطوته على الشخصيات بتأثير الحدث، خلق المكان/البحر عالماً يمور بالقلق والتوجس، ويسيطر على حركة الأحداث. فعلاقة الحُب الخفيّة التي نشأتْ بين الذات/القبطان صالح، والآخر/ منال في

(١) العثمان، ليلى. المرجع السابق، ص١٥٤.

رواية "الجوهرة والقبطان" لم تستمر، وعدم استمرارها كان بتأثيرٍ من البحر؛ فحين تناقشا العاشقَين حول إعلان الارتباط، ألحّتْ "منال" على أن يكون ذلك قبل الارتحال؛ خوفاً من الترمل، والموت...، ولما وقع الانفصال بينهما، وبأمرٍ من "منال" نفسها، وتأثيرٍ من البحر، ترك ذلك أثره النفسي والفكري على "صالح"، وحضر البحر مرتبطاً بطبيعة الحدث/الرحلة البحرية، بوصفه نتيجة للسلوك الذي يمارسه القبطان صالح في عرض البحر: "تشعر بانقباض غامض وأنت تهم بمغادرة الميناء...تختلط في داخلك زغاريد الفرح بأصوات النحيب، الحكايات تُلوّن الأماكن، وكوتشين ارتبطت في ذاكرتك بكرنفال من الأحزان يقيم فيه كل صنوف الوجع المقطر بمرارة الفجيعة...تريد أن تغمض عينيك وقلبك وذاكرتك المنهكة وتبحر بسلام، لا شيء يجيرك من جراحك المثخنة سوى البحر...فالبحر هو الضوء الذي تقع عليه ثملا كالفراشة...إنه مهربك العذب، وهاهو البحر بمده العالي يلقي تحيته إليك، والأمواج بصخبها تناديك..."(١)

تمثّل أثر المكان/المرفأ كوتشين في سلوك القبطان صالح وتصرفاته؛ حين جسد النص الحالة التي كان عليها بعد خبر الانفصال بأثر من الحدث/مهمة الجوهرة، وأسهم البحر في خلق هذا الصراع الداخلي الذي يعايشه "القبطان صالح" من خلال تطور الأحداث ابتداءً من إعلان الارتباط وانتهاءً بقرار الانفصال.

فرض المكان/البحر سيطرته على الأحداث في الرواية بصورة واضحة؛ حيث هدم العلاقة التي كانت بين "صالح" و "منال"، الأمر الذي

(١) الكلباني، زوينة. الجوهرة والقبطان، ص٨٨.

أفضى إلى تحوّل شخصية صالح من شخصيةٍ صارمةٍ قوية، إلى شخصية قلقةٍ ومضطربة، اكتسبتْ قيمتها الدلالية من خلال تفاعلها مع المكان/البحر الحاضن للحدث.

كشف تطور الأحداث، المتأثرة بالمكان/البحر، عن الصراع المأزوم للشخصيات وعن الواقع المعيش لها: " كل شيء قد تغير لم يعد المحيط نفسه ولا الأمواج نفسها...كل شيء آسن في نظرك...أكاد أسمع صوت نحيبك وأشعر بعمق جرحك، كنت تحدث نفسك قائلاً:

موحش هذا الكون من دونك منال...لا أستطيع أن أنسى، وهل من اليوم فصاعداً عليَّ أن أتكلم عنك بالفعل الماضي، بعدما كانت أحاديثنا معاً تشير إلى الزمن المستقبل..."[١]

خلّفَ البحر حالاً من القلق والتوجس والاضطراب في شخصية "صالح"، نتيجة للحدث، فبعدما كان يبحث عن الأمان العاطفي؛ مارس البحر ضغوطاته ممثلة في الرحلات والتنقلات البحرية، ليفرض عليها الانفصال، وبالتالي شكّل صراعاً مع ذاته، ومع المكان/البحر، الأمر الذي غيّر من سجيته وطبيعته وأفسد فطرته، وتشكلت شخصية سلبية تجاه المكان.

٢. البحر ورحلة الانعتاق

١.١. البحر وسيلة الانعتاق

تمثّل ذلك في رواية "الطواف حيث الجمر"، حين اتخذت "زهرة" من البحر مَعْبرًا لـ "رحلة الهروب"، وهي الحدث الرئيس في الرواية، من

(١) المرجع السابق، ص٨٩.

مكان النشأة "نزوى/عُمان" إلى جزيرة "زنجبار" في تنزانيا؛ طلباً للتحرر والحب، وتحقيقاً للوجود، وبحثًا عن "سالم" الحبيب/المفقود، الذي خانها بارتباطه من فتاة من زنجبار من ذوات العرق الأسود، وتخليه عنها على الرغم من عرقها الأبيض: "الطيور البيضاء تبارك الرحلة بأصواتها المتمازجة ونشوة البحر، اليوم أترك عبد الله وعمي والثائرة عائلتي، حقًا وفعلًا، اليوم راحلة للبعيد حيث لا لغو ولا يد تغتال أدنى حق من حقوقي المغتصبة"(١).

يتجلّى تفاعل المكان/البحر مع فعل الهروب، حين ارتحلت خفية إلى مكان آخر عبر بريق المكان/البحر، وتضمنت افتتاحية هذا النص تكثيفًا حسيًّا غنياً بمدلولاته التي تخاطب الذهن؛ ابتداءً من مباركة "الطيور البيضاء" بأصواتها لتلك الرحلة، في إشارة إلى البحث عن السعادة والاستقرار الروحي، ومروراً بالانتشاء الذاتي إثر التحرر من القمع والذل والقهر.

تحضر "الطيور البيضاء" بوصفها معادلاً سرديّاً للنساء في مجتمع "زهرة"؛ تلك النسوة اللاتي وقفن في صفها، ورفضن كل مظاهر القمع والذل التي تعرّضتْ لها. أُرغمَت "زهرة" بالزواج من ابن عمها "عبدالله"؛ الأخ الأصغر لـ "سالم"، فقررت الهروب من هيمنة وسلطة المجتمع المتمثلة في تحقير المرأة وتهميشها، والبحث عن حبيبها "سالم". انتشلها المكان/البحر إلى الحرية والاستقلال الروحي والجسدي، انتشلها من المكان/نزوى، الذي بدأتْ تتراجع سلطته من خلال الفعل المضارع "أَتْرُك"، الذي يحمل دلالات الديمومة والاستمرار، وانتهاءً إلى الاستقرار في

(١) الشحي، بدرية. الطواف حيث الجمر (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٩م، ص١٠٧).

المكان/زنجبار الذي جاء مصحوباً بشعرنة الحدث "الترك والهروب" عن طريق الظرف الزمني "اليوم" والذي يحضر في سياق العزيمة والإصرار والتحدّي من قبل الذات المأزومة.

أسهم الحدث "الهروب" في شعرنة المكان/البحر من خلال "النشوة" التي تحمل دلالات تخلّص الذات/زهرة من براثن السلطة الذكورية، والانطلاق نحو الحرية رغم تضبب الرؤية في المكان/البحر: "أمامي مشوار مضبب الرؤية وخلفي كل شيء بغيض، الأمواج تعلو عند خفوت أصوات المودعين على المرفأ والعيون تحت البراقع يطمسها الدمع، وأخرى يسكنها الحقد والغضب"(١).

وظّفتْ الساردة المكان/البحر للتعبير عن الحدث وتفاعله مع الزمن؛ لإظهار معاناة الذات الهاربة عبر البحر من القادم المجهول أرض الأحلام/زنجبار، والبغيض الخلفي أرض الذل والاحتقار/نزوى؛ في إشارة إلى جدلية مكانين يتوسطهما البحر، الذي مثلت أمواجه علواً وانخفاضاً؛ بعلو مكانة الرجل وتحجيم مكانة المرأة، فعلو الأمواج يمثّل صوت الرجل الذي يعلو على تلك المرأة الهزيلة "خفوت أصوات المودعين"، والإشارة إلى "البرقع" رمزاً للقمع والمنع وانتزاع إنسانية المرأة.

ولأنّ علاقة المكان/بالحدث تنهض بمستويات نفسية وثقافية متعددة، ركزت الرواية على علاقة البحر بالحدث/الهروب، في تحقيق التوازن النفسي الذي حققه البحر من خلال تحقق فعل الهرب خلاله؛ فيحضر البحر بوصفه وسيلة لتحقق الوجود الأنثوي من جهة، وقمع القسوة الذكورية من

(١) الشحي، بدرية. المرجع السابق، ص١٠٦.

جهة أخرى: "المرفأ أصبح الآن نقطة في خبر الماضي، والبحر يلتهمنا من كل حدب وصوب، أزرق بلون السماء وأمواجه الحلوة الشقية تخاطبني برغوتها الشفافة، تخبرني حكاياتها عن الأعماق وعن السفن الغارقة والناجية، وعن سالم الساكن فيها، في لمعتها، في عمقها، وفي ملوحتها"(١).

كان على الذات/زهرة أن تجتاز المرفأ؛ لتحقق الحلم المأمول. عبرت من مكانٍ ثابت/نزوى إلى مكانٍ ثابت/زنجبار، وهذا العبور تحقق من خلال مكانٍ متحرك/البحر، تحقق من خلاله توازنٌ في عملية السرد؛ توازنٌ خلق الطمأنينة في بلورة فعل الهرب بتخليص الذات/زهرة من قمعها وبلوغ حريتها، واستعادة حقها المسلوب جبرًا.

فالحدث/الهرب يرافقه عملية وصف لمسارات البحر الظاهرة والباطنة؛ فباطنه التهم الماضي البئيس، ممثلاً في الانتشاء الذاتي والانحلال من السلطة الذكورية، ثم التهامه "لسالم" في أعماقه، فكانت لخلفيته الوصفية بفعل الزمن الأثر على "زهرة" نفسيًا وشخصيًا وفكريًا، برصده لوعيها الحاضر، مقابلاً لأحلامها الماضية، وأصبح المصير المجهول في الماضي معروفاً في الحاضر؛ حيث تمثّل في موت "سالم" غرقًا.

وبتطور الحدث/الهرب عبر البحر، جعل للمكان/البحر حركة حسية مرئية بفعل الالتهام وحركة الأمواج، منحت "زهرة" الحياة الشاخصة والحركة المتجددة بعد الجمود والاندثار، حيث صور السرد أحاسيس الغربة والحنين والتي تمثّل الماضي المخزون في ذاكرة "زهرة" عبر تقنية المونولوج الداخلي بضمير المتكلم.

---

(١) الشحي، بدرية. المرجع السابق، ص١١٣.

١.٢. البحر وسيلة الوصول

تمثل ذلك في رواية "النواخذة"؛ حين ارتبط المكان/البحر بالتحرر والانتشاء في علاقته مع الحدث/الوصول: "السفن تتسابق للوصول... تطبق الموج تطويه طويًا... لفّةً وراء لفّة... أعلامها القرمزية ترفرف بالشوق تخبط قلب الفضاء باللهفة... الأشرعة أجنحة تطير تستبق قلب المرفأ... والطبول تتعالى... تضرب قلب الصبر تؤجج الفرحة...تردف عليها الدفوف بعنفوان يهلّل... والغناء يلعب على مواجيد الجسد وأنّاته...

القوارب تقترب...تدنو بأشواقها... يفتح دربها البتيل ويدخل النقعة... وتتوالى بعده السفن، تتقاطر في حضن المراسي وألفة المكان...

تطوي أشرعتها... وينزل الرجال...

. تقبل أشباحهم النحيلة، الهزيلة التي جفّفها الجوع وصهد الشمس...

رؤوسهم الحليقة وجلودهم المقددة بالبثور والسواد...

بخزين صبرهم النافذ، بالليالي الطوال... بالأمراض والقروح... باللهفة والعطس.."[١]

يكشف الحدث/الوصول في المقطع السردي عن الواقع المعيش للشخصيات والمكان/البحر، إذ تحول من مكان شاق ومكروه إلى مكان حميم مأنوس، وعن تبدل الوضع المأزوم المتمثل في الاضطهاد والتعب والحرمان للشخصيات إلى الانفراج والانتشاء بالوصول، حيث جاءت الخلفية الوصفية للأحداث، لبلورة المكان/البحر ولبيان أثرها على نفوس الشخصيات، فانزاح المكان/البحر من حيزه الجغرافي إلى حيز الحرية، والباعث للحياة، فأصبح وسطًا حيويًا أضفت عليه الحركة والنشاط الإنساني فظل مفعمًا بالحيوية،

(١) السالم، فوزية شويش. النواخذة (رواية)، ص٢٣٣.

وإبراز الانفعالات وسلوكيات الشخصيات عن طريق الخروج من الإبحار إلى السطح، فالتفاعل قائم بين البنية المكانية والشخصيات بواسطة الحدث/الوصول، أنتج تفاعلًا حسيًا مع المكان/البحر بصناعة الشخصية، عبر لغة وصفية وصورة حركية، "السفن تتسابق الوصول، تطبق الموج تطويه طويًا"، قدمت من خلاله الكاتبة إحساسًا شاملًا ورائعًا بالمكان/البحر ومستلزماته، عبر أحداث سردية توالت بعد الحدث/الوصول، ورسمت المشاهد الحية التي تنسجم مع المكان الذي غص بالفرحة والسباق على الحرية من أجل الوصول "الأشرعة أجنحة تطير تستبق قلب المرفأ... والطبول تتعالى... تضرب قلب الصبر تؤجج الفرحة"، ففعّم المكان بالحياة بعد الانكسار والاندثار وأنّات الجسد في البحر، إلى التهليل والغناء و الانطلاق نحو الحياة "تردف عليها الدفوف بعنفوان يهلّل... والغناء يلعب على مواجيد الجسد وأنّاته"، إلى تصوير واقع حياة البحارة قبل الحدث/الوصول، حيث القساوة والألم والانكسار " تقبل أشباحهم النحيلة، الهزيلة التي جفّفها الجوع وصهد الشمس... رؤوسهم الحليقة وجلودهم المقددة بالبثور والسواد...بخزين صبرهم النافذ، بالليالي الطوال... بالأمراض والقروح... باللهفة والعطس"؛ أعطت الكاتبة تصويرًا واقعيًا ونكهة الحياة الواقعية في رحلات المكان/البحر؛ حيث "معايشة شخوصه معايشة وجدانية وفكرية عن طريق زج انفعالاتهم واستجاباتهم الجمالية في انفعالات ومواقف شخوصه الوهمية"[(١)]، و جاءت صفات الشخوص/البحارة من خلال حركتها في المكان وتفاعلها معه نتيجة الحدث.

---

(١) الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد. الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي (طلخا/المنصورة: دار المعرفة للطباعة والتجليد، ١٩٩٦م، ص٢٢١).

مما سبق نجد أثر المكان/البحر الواضح في رسم عوالم الشخصيات، من خلال تكوين إطار الحدث والمخيلة الروائية، فجاءت الأحداث متنوعة ما بين تصوير لحظات شعورية تجاه المكان عشقاً وعداء، وما بين الهروب من الأزمات، فعكست الواقع المعيش للشخصيات المأزومة، فتفاعلت الأحداث وتطورت بفعل المكان/البحر، وكان جدالها معه بفعل الشخصيات.

الخاتمة

– حضور المكان بوصفه مكانًا مفتوحًا، لا يقف عند حدوده الجغرافية الصامتة، بل يتعداها من خلال علاقاته ببقية العناصر السردية "الشخصيات، الحدث، الزمن، اللغة"، وبوصفه فسحة حلّاقة قدمت تفاعلًا ملموسًا بين الشخصيات، وذات موحية ومؤثرة وفاعلة في النماذج الروائية، أوجدته اللغة التي تعدُّ الركيزة الأساسية للنهوض بالعمل الروائي، من خلال الوصف، التشبيه، التسمية، الحوار.

– يؤثر المكان/البحر بطبيعته الجغرافية على قاطنيه، فيولّد مشاعر سلبية إزاء عواصفه وأنوائه، حيث تمثل عناصر البيئة القوة المسيطرة على حركة الحياة البحرية، فشكّل البحر من خلالها دلالات متعددة، أسهمت في إرهاب الذات وانهزامها، من خلال تصوير صراع الذات مع البحر وهيمنة مستلزماته على وجودها المكاني.

– تتجلى العلاقة بين المكان/البحر وعنصري الشخصية والحدث؛ في علاقات تبادلية تفاعلية تلازمية، حسب الوضع النفسي والاجتماعي والاقتصادي للشخصيات، والتغيرات الحاصلة لها بفعل الزمن عبر تقنيات زمنية متنوعة، فيتحول المكان/البحر من عنصر صامت إلى عنصر حيوي بفعل الزمن المحرك للحدث، وما تعرض له المكان/البحر بفعل الزمن، فكانت حركية الزمن فاعلة ومؤثرة، أدّت إلى تغييرات نفسية واقتصادية واجتماعية وأثر ذلك على الشخوص.

– ظهرت العلاقة بين المكان/البحر والشخصيات من خلال علاقة التأثير والتأثر، وفي تباين التفاعل بينهما، حيث أبرز مواقفها وثقافتها،

وخلق تواشج عضوي بينهما، بوصفه مطورًا لها، يقابله نفورًا وعداء بوصفه هادمًا لبنائها وذاتها.

– أضفى الحدث على المكان/البحر الروح والحركة، ليخرج من عالمه الجغرافي إلى عالم ينبض بالحياة، فأحدث أثرًا واضحًا في رسم عوالم الشخصيات، حيث جاءت الأحداث متنوعة ما بين تصوير لحظات شعورية تجاه المكان/البحر، وما بين الهروب من الأزمات، من خلال رحلات الانعتاق والانغلاق.

المصادر:

١. أبو الريش، علي. السيف والزهرة (رواية)، (بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩).
٢. الرفاعي، طالب: النجدي (رواية)، (الكويت: ذات السلاسل، ط١، ٢٠١٨م).
٣. السالم، فوزية شويش. النواخذة، ط١(سوريا، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٨م).
٤. الشحي، بدرية. الطواف حيث الجمر (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٩م).
٥. العثمان، ليلى. وسمية تخرج من البحر (بيروت- لبنان: دار الآداب للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م).
٦. الكلباني، زوينة: الجوهرة والقبطان (رواية)، (عُمان/مسقط: بيت الغشّام للنشر والترجمة، ط١، ٢٠١٤م).

المراجع:

١. بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط ٢ (الدار البيضاء/ المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م)
٢. البرزنجي، أمل. الصراع الحضاري في الإبداع القصصي السعودي (بيروت: منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٣م، ص٥٣٤).
٣. بطرس، أنجيل. دراسات في الرواية العربية (مصر: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٣٩).
٤. البليهد، حمد. جماليات المكان في الرواية السعودية، (الدمام: دار الكفاح للنشر والتوزيع، د. ط، ١٤٢٩هـ).
٥. الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد. الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي (طلخا/المنصورة: دار المعرفة للطباعة والتجليد، ١٩٩٦م، ص٢٢١).

٦. حسين، خالد. شعرية المكان في الرواية الجديدة: "الخطاب الروائي لإدوارد الخراط"، (الرياض: مطابع مؤسسة اليمامة، ٢٠٠٠م).
٧. ديب، سيد محمد. فن الرواية في المملكة العربية السعودية النشأة والتطور (مصر: المكتبة الأزهرية، ط٢، ١٩٩٥م، ص٧٠).
٨. عاشور، عمر. البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ٢٠١٠م، ص٣٠).
٩. عبيدي، مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا: "حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد"، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م).
١٠. علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٦م، ص٤٤).
١١. الماضي، شكري. فنون النثر العربي الحديث (عمان/ الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦م، ص ٣٨).
١٢. المحادين، عبد الحميد: جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمَان/ الأردن، ط١، ٢٠٠١).
١٣. المكان في النص المسرحي، (أربد/الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص١٦).
١٤. النصير، ياسين. الرواية والمكان، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م،.

الأطروحات:

١. الحراحشة، منتهى. الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم (أطروحة ماجستير)، المفرق/الأردن: جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م)

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣١٦٩
٢-	Abstract	٣١٧٠
٣-	مقدمة	٣١٧١
٤-	علاقة المكان/البحر بالشخصية والحدث في العمل الروائي	٣١٧٤
٥-	المبحث الأول	٣١٧٧
٦-	علاقة المكان/البحر بالشخصية	٣١٧٧
٧-	الانتماء والتعلّق	٣١٧٨
٨-	النفور والعداء	٣١٨٨
٩-	المبحث الثاني	٣١٩٣
١٠-	علاقة المكان/البحر بالحدث الروائي	٣١٩٣
١١-	البحر ورحلة الجنائزية	٣١٩٥
١٢-	البحر مقبرة العشق	٣١٩٥
١٣-	البحر وألم الانفصال	٣١٩٩
١٤-	البحر ورحلة الانعتاق	٣٢٠١
١٥-	البحر وسيلة الانعتاق	٣٢٠١
١٦-	البحر وسيلة الوصول	٣٢٠٥
١٧-	الخاتمة	٣٢٠٨
١٨-	المصادر:	٣٢١٠
١٩-	فهرس الموضوعات	٣٢١٢